Vol. 24 No. 2 (2024)
ISSN: 1823-4313 / e-ISSN: 2785-9169
https://ejournal.unipsas.edu.my/

حُقُوقُ الْمَرْأَةِ بَيْنَ خِطَابَاتِ الْمَغْلُوبِيَّةِ وَجِدِّيَّةِ الطَّرْحِ
(قِرَاءَةٌ نَقْدِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ كِتَابِ الْوَجْهِ الْعَارِي لِنَوَال السَّعْدَاوِيّ)

وِيدْرَاوْغُو إِنُوسَا

أستاذ اللّغة العربيّة بجامعة السلطان أحمد شاه الإسلامية ببهانج ماليزيا

Abstract

إن كان المنفلوطي في نظراته بكى المرأة ومظلوميتها في المنظومة الاجتماعيّة، ودعا إلى ترك ظلمها، وإلى الإحسان والرّحمة والعدالة والوفاء معها، وناشد المجتمع أن يقدّر عقول الإناث ويحترمهنّ، وانتقد الزّواج الإجباري والمبكّر. وربط قاسم أمين حالة المرأة في الهيئة الاجتماعيّة بحالة الآداب فيها؛ فبقدر تقدّم أي أمّة من الأمم أو تطوّرها يكون احترام المرأة فيها وارتقائها، وبقدر تغلغلها في الجهل والتّخلّف واتّصاف عادتها بالبدائيّة كان استغلال المرأة كثيرًا فيها ربما يصل لدرجة العبوديّة أو السّلعة الّتي تباع وتشترى وتورث...، فإنّ نوال السّعداوي تعدّ المرأة مظلومة اجتماعيًّا من نواح عدّة، ينتج هذا الظّلم من خوف الرّجل من انفجار قوّة المرأة الّتي تفوق قوّتَه، وأنّه ليست القوانين الاجتماعيّة المختلفة الّتي توضع أمام المرأة إلاّ بسبب هذا الخوف من الرّجل أن تتحرّر المرأة من قيوده. وترى أنّ الثّقافة العربيّة والإسلاميّة حوّلتا المرأة إلى سلعة، لكنّهما ليستا وحدهما في ذلك، بل تشاركهما الثّقافة الغربيّة والمسيحيّة وتبزّها شدّة وفدحًا. وهذه الدّراسة تأتي لتلقي الضّوء على الجوانب الّتي ترى الكاتبة أنّ المرأة مظلومة فيها اجتماعيًّا ودينيًّا، وتجيب على عدّة تساؤلات وطروح طالما حيّرت العامّة حين تطرح من أناس يفترض أن يكونوا مثقّفين بحجم السّعداوي، معرّجًا قبل ذلك على بعض النّماذج في الكتابات العربيّة الّتي تناولت حقوق المرأة قبل السّعداوي، مستعملاً في ذلك آليات نقديّة مختلفة تشمل الإجابة بالنّصوص الدّينيّة والأدلّة العقليّة والتّاريخيّة وإلزام الخصم بلازم قوله، وقد اختار الباحث لهذه الدّراسة عنوان: حُقُوقُ الْمَرْأَةِ بَيْنَ خِطَابَاتِ الْمَغْلُوبِيَّةِ وَجِدِّيَّةِ

Perkembangan Artikel

Diterima: 31 Ogos 2024
Diterbit: 31 Oktober 2024

*Corresponding Author:
وِيدْرَاوْغُو إِنُوسَا
أستاذ اللغة العربية بجامعة السلطان أحمد شاه الإسلامية ببهانج ماليزيا

Email: yunusouedraogo@gmail.com

الطَّرْحِ(قِرَاءَةٌ نَقْدِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ كِتَابِ الْوَجْهِ الْعَارِي لِنَوَال السَّعْدَاوِيّ)، منتهجًا في تناولها المنهج الوصفي والتّحليلي. وقد قسّم الباحث هذا العمل إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة. المبحث الأوّل:حقوق الْمرأة في الكتابات االعربيّة قبل نوال السّعداوي(قاسم أمين والمنفلوطي نموذجان)، المبحث الثّاني: حقوق المرأة عند نوال السّعداوي قِرَاءَةٌ نَقْدِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ كِتَابِهَا الْوَجْهِ الْعَارِي. وممّا توصّلت الدّراسة إليه من نتائج، هي: أنّ كثيرا من أحكام نوال السّعداوي تسبق تحقيقها في الأحداث الّتي ناقشتها، إمّا لكسل منها في البحث أو لتأثّر مسبق وانهزام أمام التّيّارات الفكريّة الغربية المناهضة للمنهج الإسلامي والاجتماعي السّليم في الحياة، على أنّها مع ذلك لامست من الموضوعات الحسّاسة في المجتمعات البشريّة ما لم تحظ حتّى الآن بحقوقها الكاملة من الدّارسين والباحثين وقادة الدّول المعنيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الوجه العاري للمرأة العربيّة، الختان، تقييد البنتا بأخلاق، تأليه المرأة، نسبة الولد لأبيه بدل أمّه، الإسلام والمسيحيّة، حقوق المرأة، تحرير المرأة.

مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ النّاظر في أساليب كلّ من بكى المرأة في المجتمع البشري ودعا إلى إعطائها حقوقها، يدرك أنّ بعضهم مع شدّة تغلغلهم في الرّومانسيّة والتّشاؤميّة لم يحيدوا كلّيًّا عن المنهج السّليم للدّين مثل الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي ومن سار على نهجه، غير أنّ هناك فئة أخرى من الكتّاب العرب دافعت عن المرأة ومظلوميتها حتّى وصلت درجة تكاد تكون محاربة لثوابت الدّين وعنادًا أمام الذّات الإلهي والقوانين البشريّة والطّبيعيّة، على الرّغم من صحّة بعض منطلقاتهم ونجاحهم في وصف بعض أدواء المجتمع، وممكن أن نعدّ منهم قاسم أمين ونوال السّعداوي وكلّ من سار على نهجهما، فإن كان المنفلوطي في نظراته بكى المرأة ومظلوميتها في المنظومة الاجتماعيّة، ودعا إلى ترك ظلمها، وإلى الإحسان والرّحمة والعدالة والوفاء معها، وناشد المجتمع أن يقدّر عقول الإناث ويحترمهنّ، وانتقد الزّواج الإجباري والمبكّر. وربط قاسم أمين حالة المرأة في الهيئة الاجتماعيّة بحالة الآداب فيها؛ فبقدر تقدّم أي أمّة من الأمم أو تطوّرها يكون احترام المرأة فيها وارتقائها، وبقدر

تغلغلها في الجهل والتّخلّف واتّصاف عادتها بالبدائيّة كان استغلال المرأة كثيرًا فيها ربما يصل لدرجة العبوديّة أو السّلعة الّتي تباع وتشترى وتورث...، فإنّ نوال السّعداوي تعدّ المرأة مظلومة اجتماعيًّا من نواح عدّة، ينتج هذا الظّلم من خوف الرّجل من انفجار قوّة المرأة الّتي تفوق قوّتَه، وأنّه ليست القوانين الاجتماعيّة المختلفة الّتي توضع أمام المرأة إلاّ بسبب هذا الخوف من الرّجل أن تتحرّر المرأة من قيوده. وترى أنّ الثّقافة العربيّة والإسلاميّة حوّلتا المرأة إلى سلعة، لكنّهما ليستا وحدهما في ذلك، بل تشاركهما الثّقافة الغربيّة والمسيحيّة وتبزّها شدّة وفدحًا.

وهذه الدّراسة تأتي لتلقي الضّوء على الجوانب الّتي ترى الكاتبة أنّ المرأة مظلومة فيها اجتماعيًّا ودينيًّا، معرّجًا قبل ذلك على بعض النّماذج في الكتابات العربيّة الّتي تناولت حقوق المرأة قبل السّعداوي، ثمّ تجيب على عدّة تساؤلات وطروح طالما حيّرت العامّة حين تطرح من أناس يفترض أن يكونوا مثقّفين بحجم السّعداوي، مستعملاً في ذلك آليات نقديّة مختلفة تشمل الإجابة بالنّصوص الدّينيّة والأدلّة العقليّة والتّاريخيّة وإلزام الخصم بلازم قوله، وقد اختار الباحث لهذه الدّراسة عنوان: حُقُوقُ الْمَرْأَةِ بَيْنَ خِطَابَاتِ الْمَغْلُوبِيَّةِ وَجِدِّيَّةِ الطَّرْحِ(قِرَاءَةٌ نَقْدِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ كِتَابِ الْوَجْهِ الْعَارِي لِنَوَال السَّعْدَاوِيّ)، منتهجًا في تناولها المنهج الوصفي والتّحليلي. وقد قسّم الباحث هذا العمل إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة. المبحث الأوّل:حقوق الْمرأة في الكتابات االعريّة قبل نوال السّعداوي(قاسم أمين والمنفلوطي نموذجان)، المبحث الثّاني: حقوق المرأة عند نوال السّعداوي قِرَاءَةٌ نَقْدِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ كِتَابِهَا الْوَجْهِ الْعَارِي. وممّا توصّلت الدّراسة إليه من نتائج، هي: أنّ كثيرا من أحكام نوال السّعداوي تسبق تحقيقها في الأحداث الّتي ناقشتها، إمّا لكسل منها في البحث أو لتأثّر مسبق وانهزام أمام التّيّارات الفكريّة الغربية المناهضة للمنهج الإسلامي والاجتماعي السّليم في الحياة، على أنّها مع ذلك لامست من الموضوعات الحسّاسة في المجتمعات البشريّة ما لم تحظ حتّى الآن بحقوقها الكاملة من الدّارسين والباحثين وقادة الدّول المعنيّة.

مشكلة البحث:

بين المبالغة في تصوير قبح المجتمع والإسراف في مجاملاته، تضيع الحقيقة التي يجب أن يتبصّر بها المجتمع فيصحّح أخطاءه، وطروحات نوال السّعداوي –خاصّة في كتابها "الوجه العاري للمرأة العربيّة" تكاد تكون إلى أقصى حدّ مبالغة في تصوير وقائع المجتمع العربي والإسلامي، ولا سبيل

إلى إجلاء تلك المبالغات ودحض ما التبس بها من تشويه للمجتمع والدّين إلاّ تقديم قراءة ناقدة لكتاباتها، وهذا الّذي أتى هذا البحث لتحقيقه، سائلاً الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد فيه.

أسئلة البحث:

يأتي هذا البحث ليجيب عن الأسئلة الآتية:

١. ما صورة دراسة الكتّاب قبل نوال السّعداوي حول حقوق المرأة؟
٢. ما مضمون كتاب نوال السّعداوي (الوجه العاري للمرأة العربيّة)؟
٣. ما مدى جدّية طروح الكاتبة في هذا الكتاب؟

أهداف البحث:

١. الوقوف على صورة دراسة الكتّاب قبل نوال السّعداوي حول حقوق المرأة.
٢. وصف مضمون كتاب نوال السّعداوي (الوجه العاري للمرأة العربيّة).
٣. بيان مدى جدّية طروح الكاتبة في هذا الكتاب وعدمها.

منهج البحث:

ينتهج هذا البحث المنهج الوصفي والتّحليلي، حيث يقوم على اختصار أفكار الكتاب ثمّ تقديم قراءة نقديّة عليها، لكن حرصًا على صغر حجم البحث وفقًا لطبيعة البحوث المنشورة، ونظرًا إلى طبيعة أسلوب الكاتبة الّتي تتخلّها كثيرة من القصص الّتي يصعب نقلها جزئيًّا، فقد اكتفى الباحث فقط باختصار كلّ فكرة يتمّ انتقادها من الكتاب، والعزو لموضعها منه؛ متحاشيًا قدر المستطاع إيراد نصوص الكتاب نفسها. وقد عرّجت قبل ذلك على بعض النّماذج في الكتابات العربيّة الّتي تناولت حقوق المرأة قبل السّعداوي، ككتابات قاسم أمين، والمنفلوطي للوصول إلى صور مختلفة للطّروح المتعلّق بحقوق المرأة من حيث الأساليب والمنطلقات.

المبحث الأوّل: حقوق الْمرأة في الكتابات العربيّة قبل نوال السّعداوي (قاسم أمين والمنفلوطي نموذجان)

المطلب الأوّل/ حقوق المرأة عند قاسم أمين:

ينطلق قاسم أمين في الكلام عن المرأة في الأمّة المصريّة، من معظم أفكار، منها:

١. أنّ حال ظلم المرأة وصلت لدرجة مكشوفة يعرفها كلّ متعلّم ولا يمنع بعض المتعلّمين من البوح به إلاّ الخوف أو عدم الثّقة في النّاس بأنّهم أهل للتّغيير....، وبتلك القناعة قرّر هو أن يتجاسر بالجهر بما تكنّه قلوب العلماء وإن كان لمثل ذلك التّجاسر تبعات قد تلحق بمن يقوم به من قبل المجتع، لكنّه لم يبال بذلك لأنّ الفكرة حين تنضج لدى الإنسان وتصل لمرحلة ما من مراحلها بعد تفحّصها وتقلّبها لا تقبل الحبس؛ إذ تصبح كالغاز إن ضغطه للحبس أحدث فرقعات فأتى بحالة فساد أكثر. (ينظر قاسم أمين ص: ٧-٨).

٢. أنّ حالة المرأة في الهيئة الاجتماعيّة تابعة لحالة الآداب في الأمّة؛ أي بقدر تقدّم أي أمّة من الأمم أو تطوّرها يكون احترام المرأة فيها وارتقائها، فكلّما غرقت الأمّة في الجهل والتّخلّف واتّصفت عادتها بالبدائيّة، كان استغلال المرأة كثيرًا فيها ربما يصل لدرجة العبوديّة أو السّلعة الّتي تباع وتشترى وتورث، وكلّما تطوّرت وأخذت عادتها لونًا من التّحضّر، تجد المرأة فيها طريقا للحرّيّة أكثر، وعلى هذا فإنّ أكثر امرأة تحضّرًا لتحضّر الأمم الّتي هي فيها، المرأة الأمريكيّة ثمّ الإنجليزيّة ثمّ الألمانيّة ثمّ الفرنساويّة فالنّمساويّة فالتّليانيّة فالرّوسيّة....، لكن الغربي قد يظنّ أنّ تطوّره هذا وصل إليه بتعاليم دينه المسيحيّ وهو باطل فإنّ التّعاليم المسيحيّة لم تسوّ بين الرّجل والمرأة إلاّ في الواجبات، لكنّها لم تجعل لها حقوقًا كما لم ترسم نظام حياة محدّد في الأمم الّتي دخلت فيها، بل دائما يتشكّل هذا الدّين بشكل ثقافات الأمم الّتي دخلت فيها، وإنّما وصل الغربي إلى هذا التّطوّر، بتطوّر عادتها وعدم تحجّرها، وهذا الّذي يجب أن تعرفه الأمّة العربيّة، وهو أنّ العادات تتطوّر ولا تتحجّر في حدود زمن أو مكان، وكلّما تطوّرت عادات قوم أكرموا المرأة وأعطوها حقوقها أكثر، وإن وجدت أمّة تستحقّ التّطوّر الإيجابي وتحرّر نسائها، فهي الأمّة العربيّة الإسلاميّة بسبب التّغيير الجذري الّذي أحدثه الإسلام فيها فيما يتعلّق بالمرأة، فإن كانت التّعاليم المسيحيّة لم تعط للمرأة حقوقًا إلاّ واجبات فقط، فإنّ الإسلام ساوى بين الرّجل والمرأة في الحقوق والواجبات -حتّى في مسألة التّحلّل عن

عقدة الزّواج- بل أسقط عنها بعض الواجبات، مثل النّفقة، ولم يميّز الإسلام الرّجل عن المرأة إلاّ في شيء واحد وهو التّعدّد، ويرى أنّ الحكمة وراء ذلك هي الحفاظ على النّسب، لكنّ المؤسف أنّ الأمّة العربيّة اتّصلت بعادات أمم أخرى بعد ذلك فتأثّرت بها واتّخذتها عادتها مع أنّ عادات تلك الأمم كانت لم تصل لمرحلة النّضج، لكن قاسم أمين يرى أنّ أكبر عامل على استمرار توارث الأمّة لهذه العادات وأخلاقها السّيّئة توالي الحكومات الاستبداديّة على بلاد العرب.

فقاسم أمين ينظر إلى ظلم الرجال للنساء كفرع عن فساد الأنظمة الديكتاتورية التي طالما تحكمت في البلاد، فالاستبداد يحدث بالتّسلسل لتَأثُّر كل طبقات المجتمع بعضها من بعض؛ فباستبداد الحاكم يستبد وزراؤه لمن تحتهم، ويستبد من تحت الوزراء بمن تحتهم حتى يسري ذلك إلى كل المجتمع فيستبدّ كلّ قويّ كلّ ضعيف، وبالتّالي تصبح المرأة ضحية لاستبداد من حولها وظلمهم؛ زوجة كانت أو أمّا أو أختا أو بنتا....، وبهذا النّظام يصبح الظّلم والاستبداد عادة في المجتمع، فربما ظننتم أنّ المظلوم المسكين الّذي يبكي مظلمته، إنسان يحبّ العدل أو الشّفقة على غيره، فإذا أسندت إليه مسؤولية على من تحته عاملهم بقسوة وظلم أيضًا، ذلك أنّ الأمّة الملظلومة لا يصلح جوّها ولا تنفع أرضها لنموّ الفضيلة، ولا يربو فيها إلاّ نبات الرّذيلة.

ومن صور الممارسات الاجتماعيّة الّتي يراها قاسم أمين ظلما للمرأة:

١. أن يملأ الرّجل بيته بجَوار بيض أو سود، أو زوجات يجمعهنّ فقط لإشباع شهوته غير مبال بما أوجبه عليه

الدّين بحسن القصد فيما يعمل وما فرض عليه من العدل في ذلك.

٢. أن يطلّق الرّجل زوجته بدون سبب.

٣. أن يجلس الرّجل على مائدة الطّعام وحده، ثمّ تجتمع النّساء من أمّ وأخت وزوجة ويأكلن ما فضل منه.

٤. أن يعَيّن للمرأة من يراقبها في عِرضها من أخ أو خادم...

٥. أن تُحبس في البيت لا تخرج منه إلاّ على نعش محمولة إلى القبر.

٦. أن يعلن الرّجال أنّ النّساء لسن محلاً للثّقة والأمانة.

٧. أن يُحال بين المرأة والحياة العامّة والعمل في أي شيء يتعلّق بها. (ينظر قاسم أمين، ص: ٩-١٥).

ويظهر من خلال مناقشات قاسم أمين في كتابه حول قضيّة تعدّد النّساء، أنّه يعتبره احتقارا للمرأة لا يفعله إلاّ من لم تنضج ثقافته من القبائل البدائيّة، وعلى هذا يسدّ كلّ باب يوصل إلى التّعدّد باختيار إلاّ عند الحالات الاستثنائيّة الحرجة كموت الزّوجة، أو إصابتها بمرض يتعذّر معه قضاء حاجاته الجنسيّة معها، ويرى أنّه حتّى عند هذا الأخير، الوفاء يقتضي ألا يتزوّج الرّجل عليها وألا يطلّقها.

ويدعم بهذا الاستثناء ويجعله تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ (النساء: ٣).

إذ يرى أنّ الأصل هو البقاء مع زوجة واحدة بدليل القيد المرتبط بهذه الإباحة: ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ٣ ﴾ حيث يرى أنّ هذا القيد دليل على أنّ العدل ممتنع، فما لم يمكن العدل لا يجوز التّعدّد، ويؤكّد كون العدل متعذّرا بقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ ١٢٩ ﴾ النساء: ١٢٩.

وهذا من أبين الأدلّة على أنّ الكاتب يتخيّر من الأدلّة ما يناسب اختياره المسبق بغضّ النّظر عن كونه هو الصّواب أو غيره، فليس أوضح لمضمون الآية من مجيء الشّقّ الثّاني لها بالأمر بعدم الميل كلّ الميل وتركها كالمعلّقة: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ١٢٩ ﴾ النساء: ١٢٩، إذ يعني هذا أنّ الآية الأولى إخبار من الله عن صعوبة العدل بين النّساء في كلّ الأشياء المادّية والمعنويّة لأنّه هو خالقهنّ وخالقكم والأعلم بهنّ وبكم، لكن سدّدوا وقاربوا فلا تميلوا كلّ الميل فتذروا بعض نسائكم كالمعلّقات لا تهتمّون بهنّ. وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يقسِمُ بين نسائه فيَعْدِل ويقول: "اللّهمّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"(أبوداود، ج٢، ص: ٢٠٨، رقم الحديث:٢١٣٤).

٣. كما تناول قاسم أمين قضيّة تربية النّساء: فبيّن أن لا فرق بين الرّجل والمرأة إلاّ في الأعضاء التّناسليّة فقط، فتستطيع أن تفعل كلّ ما يفعله الرّجال، وإذا كان الرّجل أقوى على المرأة بدنيًّا وعقليًّا، فذلك لأنّ الرّجل اشتغل با العمل والفكر أجيالاً طويلة، عليه يجب تعليم النّساء كلّ العلوم الّتي يتعلّمها الرّجال، وهذا لتستطيع من مواجهة الحياة بغضّ النّظر أن تتوظّف بدراستها أو لا تتوظّف بها (ينظر قاسم أمين، ١٧-٣٦).

ويرى أنّ عدم توظيف النّساء في المجتمعات خسارة لهذه المجتمعات لأنّهنّ يشكّلن على الأقلّ نصف هذه المجتمعات فلو عملن لا شكّ أنّ ذلك سيكون من أهمّ عوامل نموّ هذه المجتمعات اقتصاديًّا.

المطلب الثّاني/ حقوق المرأة عند مصطفى لطفي المنفلوطي

قليلاً ما يتناول المنفلوطي قضيّة المرأة بعيدًا عن القضايا الزّوجيّة والتّربويّة، ومن القيم والأخلاق الّتي دعا إليها المنفلوطي في كتابه النّظرات في هذا السّياق، هي:

١. دعا المنفلوطي إلى: الإحسان والرّحمة والعدالة والوفاء، وتقدير عقول الإناث واحترامهنّ، كما نقد الزّواج الإجباري والمبكّر ودعا إلى ترك الظّلم، وذلك من خلال موضوعات وقصص كثيرة متفرّقة في كتابه النّظرات وهي: "عبرة الدّهر"، "غرفة الأحزان"، "الشّهيدتان"، "الزّوجتان"،"التّوبة"، "البائسات"، "الحبّ والزّواج"، "إلى الدّير"، "الإحسان في الزّواج"، "الرّجل والمرأة"، "احترام المرأة"، "غدر المرأة".

٢. المنفلوطي يعتبر الأنثى مظلومة من الرّجل، ومسلوبة الحقّ في المنظومة الاجتماعيّة والحياة الزّوجيّة، وعلى ذلك فإنّه لم يجعل للرّجل في قصصه، نصيب الإنسان مع زميله الإنسان، بل نصيب الوحش مع ضعيف البشر، وقلّما جعل المنفلوطي الرّجلَ يُظلم في هذه القصص، لأنّه جعله صاحب السّلطة المطلقة وصاحب اللّباقة في تدبير الأمور وتلفيقها. كما يظهر ذلك في موضوع "غرفة الأحزان" من كتابه النّظرات (ينظر مصطفى لطفي المنفلوطي، ١٩٢٥، ج١ ص١٤١)، وموضوع "الشّهيدتان"(ينظر مصطفى لطفي المنفلوطي، ١٩٢٥،ج٢ ص١٥٢)....وغيرهما.

٣. لكن اقتضت العدالة من كاتبنا، أن لم يحِد كلّيًّا عن نصح طرف النّساء أيضًا وانتقاد بعض أخلاقهنّ، خاصّة ما يتّصل منها بالوفاء واختيار الأزواج والتّصبّر معهم، ذامًّا في ذلك بعض المبادئ الغربيّة الّتي تبنّتها بعض نساء المسلمين فأدّت إلى فساد الحياة الزّوجيّة وتنغيصها؛ مثل حرّيّة اختيار العشقاء حتّى بعد الزّواج، كما في موضوع: "الحبّ والزّواج"(ينظر مصطفى لطفي المنفلوطي، ١٩٢٥، ج ١ ص١٥٢).

٤. حارب المنفلوطي الظّلم في الحياة الزّوجيّة بإعطائه صورة قبيحة للظّالمين من الرّجال في قصصه وتشبيههم بوحوش مفترسة مع ضعاف البشر، ما يجعل كلّ عاقل ينفر من أن يرى نفسه من صنفهم. كما مدح نماذج قليلة من الرّجال، ترغيبًا في أخلاقهم ودعوة للاقداء بهم.

٥. كثيرًا ما يعتمد الكاتب في طريقه إلى تحذير الرّجال من ظلم النّساء على جعل عاقبة الظّالمين منهم في القصص حسرة ووبالاً ينتهي أكثرهم في الهلاك والموت، كما موضوع ‘‘عبرة الدّهر"(ينظر مصطفى لطفي المنفلوطي، ١٩٢٥،ج١ ص٩١)، وموضوع: "التّوبة"(ينظر مصطفى لطفي المنفلوطي، ١٩٢٥،ج٢ ص١٤٨)....وغيرهما.

ويظهر من تناولات المنفلوطي لقضيّة المرأة، شدّة تأثّره العميق ببؤس المظلومات منهنّ، وصدق بكائه لشقائهنّ، ويرجّح أن يكون سبب ذلك راجع إلى طبيعة بيئة الكاتب الّتي نشأ فيها، فقد نشأ أمام زوجة أبيه الّتي ليست أمّه الحقيقي؛ حيث طلّق أبوه أمّه وهو صغير، فعاش صنوف العذاب في غيابها، كما أنّ الكاتب نفسه، قد فَقَدَ جميع أولاده الخمسة من زوجته الأولى إلاّ بنتًا واحدة، كما فقد بعد فقدهم، زوجته نفسها قبل أن يفارق هو الحياة، فرثاهم جميعهم، ثمّ تزوّج بزوجة أخرى رزق منها ولدين وثلاث بنات، فطاب حياته معهم فترة من الزّمان، ثمّ أصيبت زوجته هذه بضعف البصر، فكان يلاطفها ويصانعها رفقًا بها حتّى لا تشعر بألم عاهتها؛ حيث كان يلقي بجوارها إبرة بحيث تكون في ملتقى أوّل نظرة منها دون أن يشعرها بذلك، ثمّ يطلب منها أن تتناول هذه الإبرة فتنظر أمامها فتقع نظراتها الأولى عليها، فتهوي إليها وتناوله إيّاها، فيظهر المنفلوطي إعجابه بحِدَّة بصرها....فتفرح كثيرًا وتعتقد أنّها كما رآها زوجها(ينظر سميرة عدلي محمّد رزقي،

ص١٦)، وقد ورد في كتاب النّظرات قصّة تحكي هذه الصّورة بتمامها غير أنّ الكاتب لم ينسبها لنفسه، وإنّما جعلها استفتاء وصله ممّن كان يعيش مع زوجته ففقدت بصرها هل يطلّقها أو يبقيها؟، وذلك في موضوع "الوفاء"(مصطفى لطفي المنفلوطي، ١٩٢٥،ج٢ ص١١٨). وفقد المنفلوطي مع زوجته هذه كذلك ابنه الصّغير، فرثاه في كتابه النّظرات تحت موضوع"الدّفين الصّغير".

المبحث الثّاني/ حقوق المرأة عند نوال السّعداوي قِرَاءَةٌ نَقْدِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ كِتَابِهَا الْوَجْهِ الْعَارِي

المطلب الأوّل/ موضوع كتاب الوجه العاري للمرأة العربيّة لنوال السّعداوي:

تعدّ المرأة مظلومة اجتماعيًّا عند نوال السّعداوي من نواح عدّة، وترى أنّ منبع هذا الظّلم، خوف الرّجل من انفجار قوّة المرأة الّتي تفوق قوّتَه، وأنّه ليست القوانين الاجتماعيّة المختلفة الّتي توضع أمام المرأة إلاّ بسبب هذا الخوف من الرّجل أن تتحرّر المرأة من قيوده. وترى أنّ الثّقافة العربيّة والإسلاميّة حوّلتا المرأة إلى سلعة لكنّهما ليستا وحدهما في ذلك، بل تشاركهما الثّقافة الغربيّة والمسيحيّة وتبزّها شدّة وفدحًا.

ومن النّواحي الّتي ترى نوال السّعداوي أنّ المرأة مظلومة في المجتمع:

١. الختان قسوة لا حكمة وراءها.

٢. تقييد البنت بأخلاقيات في الأسرة لا يقيّد بها الرّجل، كخفض الصّوت، والتّواضع، وكذلك تمييزها ببعض الأعمال في البيت تقوم بها وحدها دون البنين، كالطّبخ، وتنظيف البيت...

٣. نسبة الولد لأبيها وحده في الأعراف والأوراق الرّسميّة ظلم اجتماعيّ حدث تدريجيًّا منذ فترة من التّاريخ، والأصل نسبة الولد لأمّه بدليل بقيّة آثار ذلك في بعض قبائل أفريقيا؛ كقبيلة أشانتي في ساحل العاج، لكن احتفاظ المجتمع على النّظام الطّبقي الأبوي هو الّذي يشكّل اضطهادًا للمرأة بغضّ النّظر عن الموقع الجغرافي أو الدّين.: (ينظر نوال السّعداوي، ص: ١٧-٢٠، وص: ٣١).

٤. المرأة إلهة أنثى أو خالقة مقدّسة لفضل إنجابها الأولاد.

٥. تنتفض السّعداوي غضبًا في غير موضع من كتابها بسبب وصف الله بالذّكر بدل الأنثى، إذ ترى ذلك جورًا.

٦. إنّ نسبة الخطيئة الّتي أخرجت آدم وحوّاء من الجنّة إلى حوّاء ظلم، مع أنّ السّعداوي تقرّ بعد ذلك أنّ حوّاء هي من دلّت آدم على الشّجرة؛ في سياق تعظيم حوّاء بأنّها بدل أن تُعظَّم على أنّها دلّت آدم على طريق المعرفة باتت تُنسب لها الذّنب. (ينظر نوال السّعداوي، ص:٣١).

٧. إنّ الأديان متشابهة في جعل الرّجل صاحب السّلطة دائمًا وجعل المرأة تابعة له.

٨. إنّ الإسلام أعطت للمرأة حقوقًا وسلبت منها حقوقًا، لكن مع ذلك كانت المرأة في زمن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم تحظى بحقوق تُسلب منها اليوم.

٩. تعتبر تحرير المرأة العربيّة جمعًا بين إيجابيات الثّقافة الإسلاميّة والتّراث العربيّة القديمة، وإيجابيات الفكر المستحدث.

١٠. إنّه لن يحرّر النّساء إلاّ النّساء أنفسهنّ وبعد أن يصبحن قوّة سياسيّة لها قدرتها على الفعل واتّخاذ القرارات الكبرى.

١١. إنّ الثّورات الاشتراكيّة والحروب التّحريريّة واحدة من أسرع الأسباب الّتي تساعد على تحرير المرأة، حرب التّحرير الجزائريّة والفلسطينيّة نموذجتان. (ينظر نوال السّعداوي، ص: ١٥).

الممطلب الثّاني/ نقد موضوعات الكتاب:

كما ظهر في العرض السّابق لمضمون كتاب الوجه العاري للمرأة العربية، فإنّ النّقاط المرصودة إحدى عشرة نقطة، غير أنّ النّقاط الّتي ظهر للباحث أنّها تحتاج إلى توضيح وردّ هي النّقاط السّتّة الّتي سوف يوردها فيما يلي، وهي: قضيّة الختان، وتقييد البنت بأخلاقيات لا يقيَّد بها الولد الذّكر، وقضيّة نسبة الولد إلى أبيها بدل أمّه، وتأليه المرأة وتقديسها ووصفها بالخالقة بسبب ولادتها، ووصف الله بالذّكر بدل الأنثى، ونسبة الخطيئة لحوّاء بدل آدم عليهما السّلام.

أوّلاً/ الختان قسوة لا حكمة وراءها:

ترى الكاتبة الختان قسوة لا حكمة وراءها وصوّر القائمين بها بأقبح صورة من الإجرام، بينما الختان في الإسلام واجب في حقّ الذّكور ومستحبّ في حقّ الإناث، وليس كلّ ما لم تظهر لنا فوائده مما جاء في الشّرع عديم الفائدة أو الحكمة، فالله الّذي خلقنا وشرع لنا ديننا هو أعلم بنا وبما ينفعنا من أنفسنا، وقد أكّد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حديث رواه البخاري ومسلم بأنّ الختان من

الفطرة، قال صلّى الله عليه وسلّم: "الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقصّ الشّارب" (رواه البخاري،ج٧ ، ص:١٦٠، رقم الحديث:٥٨٨٩)، ومسلم: (ج١، ص: ١٥٢، رقم الحديث: ٢٥٧).

وعن مشروعية ختان المرأة ورد في السّنّة أنّه كان في المدينة امرأة تختن فقال لها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:"لا تُنْهِكِي، فإنّ ذلك أحظى للمرأة وأَحَبّ إلى البعل". رواه أبو داود (ج٤، ص: ٥٤٠، رقم الحديث: ٥٢٧١).

وعلى عكس ما رأت نوال السّعداوي أنّ ختان النّساء قسوة لا حكمة وراءها، أكّد بعض الأطبّاء أنّ للختان أهمّية بالغة في حقّ النّساء، قال الدّكتور حامد الغوابي:

١. تتراكم مفرزات الشّفرين الصّغيرين عند القلفاء وتتزنّخ ويكون لها رائحة كريهة وقد يؤدّي إلى التهاب المهبل أو الإحليل، وقد رأيت حالات مرضيّة كثيرة سببها عدم إجراء الختان عند المصابات.

٢. ومن فوائد الختان أنّه يقلّل من الحساسيّة المفرطة للبظر الّذي قد يكون شديد النّموّ بحيث يبلغ طوله ثلاث سنتمترات(٣سم) عند انتصابه، وهذا مزعج جدًّا للزّوج، وبخاصّة عند الجماع.

٣. ومن فوائد الختان، منعه من ظهور ما يسمّى بإنعاظ النّساء وهو تضخّم البظر بصورة مؤذية يكون معها آلام متكرّرة في نفس الموضع.

٤. الختان يمنع ما يسمّى نوبة البظر، وهو تهيّج عند النّساء المصابات بالضّنى (مرض عند النّساء).

٥. الختان يمنع من الغلمة الشّديدة الّتي تنتج عن تهيّج البظر ويرافقها تخبّط بالحركة، وهو صعب المعالجة.

ثمّ يردّ الدّكتور الغوابي على من يدّعي أنّ ختان البنات يؤدّي إلى البرورد الجنسي بقوله:

"إنّ البرود الجنسي له أسباب كثيرة، وإنّ هذا الادّعاء ليس مبنيًّا على إحصائيات صحيحة بين المختتنات وغير المختتنات، إلاّ أن يكون الختان فرعونيًّا، وهو الّذي يُستأصل فيه البظر بكامله، وهذا بالفعل يؤدّي إلى البرود الجنسي، لكنّه مخالف للختان الّذي أمر به نبيّ الرّحمة صلّى الله عليه وسلّم حين قال:(لا تنهكي) أي لا تستأصلي، وهذه وحدها آية تنطق عن نفسها، فلم يكن الطّبّ قد أظهر شيئا عن هذا العضو الحسّاس، ولا التّشريح أبان عن الأعصاب الّتي فيه). (ختان البنات، مجلّة لواء الإسلام، عدد ٧ و١٠).

وذكرت الطّبيبة النّسائيّة ستّ البنات خالد في مقالة لها بعنون :(ختان البنات رؤية صحيّة) كثيرا من فوائد الختان، ومنها:

١. ذهاب الغلمة والشّبق عند النّساء (شدّة الشّهوة والانشغال بها والإفراط فيها).

٢. منع الرّوائح الكريهة الّتي تنتج عن تراكم اللّخن(النّتن) تحت القلفة.

٣. انخفاض معدّل التهابات المجاري البوليّة.

٤. انخفاض نسبة التهابات المجاري التّناسليّة.

وجاء في كتاب "العادات الّتي تؤثّر على صحّة النّساء والأطفال" الّذي صدر عن منظّمة الصّحّة العالميّة في عام ١٩٧٩م، ما يأتي: "إنّ الخفاض الأصلي للإناث هو استئصال لقلفة البظر وشبيه بختان الذّكور...وهذا النّوع لم تذكر له آثار ضارّة على الصّحّة".

ثانيًا/. تقييد البنت بأخلاقيات في الأسرة لا يقيّد بها الرّجل، كخفض الصّوت، والتّواضع، وكذلك تمييزها ببعض الأعمال في البيت تقوم بها وحدها دون البنين، كالطّبخ، وتنظيف البيت...

أمّا في تقييد البنت بأخلاقيات في الأسرة لا يقيّد بها الرّجل، كخفض الصّوت، والتّواضع، وكذلك تمييزها ببعض الأعمال في البيت تقوم بها وحدها دون البنين، كالطّبخ، وتنظيف البيت، فنعم، قد تكون المبالغة فيها مشينة؛ إذ بعض هذه التّقييدات قد تكون راجعة فقط إلى التّراث الثّقافي الّذي ليس وارءه حكمة معتبرة ولا يقول بوجوب مثلها أحد من العقلاء، غير أنّ الملاحظ في أكثر هذه التّقييدات يدرك أنّ القدامى لم يكونوا يفعلون ذلك سدًى، فطبيعة كلّ من البنت والذّكر مختلفتان، ولكلّ جنس ما يزيّنه وما يشينه إذا قام به، ففرط النّشاط مثلاً والجرأة والغلظة أحيانًا، لا تعيب الرّجل ولا تعطيه صورة سلبيّة لدى المجتمع، في حين أنّ ذلك يظهر المرأة –إذا قامت به– في صورة لا تتمنّى هي أن ترى نفسها فيها، فطبع المرأة تتقبّل الوصف بالجمال والحنان واللّطف والأدب أكثر ممّا تتقبل الوصف بالشّجاعة والجرأة والغلظة.... مع أنّ هذه الصّفات الأخيرة قد تكون إيجابية في بعض سياقها.

ولعلّ من الحكم الّتي خفيت عن الكاتبة حيال انتقادها تخصيص المرأة بالطّبخ وتنظيف البيت....، أنّ الرّجل في أكثر العادات والأديان مسؤول عن توفير كلّ شيء تقوم عليه حياة أهله وأبنائه ممّا

يتطلّب منه أن يكون ساعيًا في الخارج لتحقيق ذلك ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ٣٤ ﴾ النساء: ٣٤، وقد يكلف الرّجلَ ذلك يومه بالكامل، فمن الحكمة أن تكون المرأة وهي في البيت تساعده في أعمال البيت من الطّبخ والتّنظيف، فإن تأكّدت الأسر أنّ هذه ممّا سيحتم على بناتهم القيام بها مستقبلاً مع أزواجهنّ، فمن الحكمة أن يبدأوا بتخصيصهنّ على القيام بها في بيوت آبائهنّ ليس احتقارًا لهنّ، بل تدريبًا لهنّ مع وجود إخوانهنّ حتّى لا يستثقلنها مع أزواجهنّ في المستقبل إذا استثقلنها مع إخوانهنّ في الحاضر، غير أنّ هذا لا يمنعنا من أن نصرّح لهنّ الحكمة من هذا الفعل حتّى لا يشعرن بالتّمييز والتّحقير، كما لا يمنعنا من أن نشركهنّ إخوانهنّ أحيانًا في هذه الأعمال.

هذا مع العلم أنّ الأسر الّتي تخصّص البنت بهذه الأخلاقيات تخصّص الرّجل أيضًا بأعمال قد يصعب على المرأة القيام بها؛ كالإرسال إلى مناطق بعيدة لإبلاغ رسائل الأسرة وقضاء بعض حوائجها وما قد يتعرّضون في طريق ذلك من مشاكل طبيعيّة أو اعتداءات بشريّة، وهذا ما جعل القدامى في السّابق لا يخرجون بدون سلاح تحسّبًا لكلّ شرّ دائمًا.

ثالثا/ نسبة الولد إلى أبيه بدلا من أمّه:

إذا كان اعتماد نوال السّعداوي على اعتبار نسبة الولد لأمّه هو الأصل ويجب العودة إليه، على النّموذج الشّاذّ الباقي في أفريقيا كما ذكرت، فيلزمها قبول هذه النّسبة ولوازمها؛ فقد كان الأفارقة في السّابق يتعدّدون الزوجات بشكل كبير، خاصّة الملوك منهم، حتّى إذا أنجبت كلّ واحدة منهنّ أولادها صعب على الرّجل ضبط أسرته والتّمييز بين أبنائه، فكان لزامًا عليه أن ينسب كلّ ولد لأمّه لتسهل معرفتهم، وقد أكّد على هذا الدّكتور محمّد دوكوري من دولة ساحل العاج في كتابه(منسا موسى السّلطان الحاج)، في سياق تحقيق نسب السّلطان منسا موسى، يقول الدّكتور محمّد دوكوري: "واشتهر منسا موسى في الرّوايات الشّفهيّة بأنّه: كنك موسى (kanku Musa)، بتركيب اسمه مع اسم أمّه، وهو عرف جار في مناطق نفوذ مالي وغيرها من بلاد السّودان، إمّا بتقديم اسم الأمّ كما هنا، أو بتقديم اسم الولد؛ والدّاعي إلى هذا التّركيب دفع

الاشتباه النّاشئ من التّكرار المتوقّع في أسماء أفراد البيت الواحد، بل في أسماء أبناء الرّجل الواحد من زوجات متعدّدات" (محمّد دوكوري، منسا موسى السّلطان الحاجّ، ص: ٤٣-٤٦).

فإذا كانت نوال السّعداوي تدعو إلى نسبة الولد إلى أمّه لأنّ ذلك هو الأصل ونموذج الأصل ما زال في أفريقيا، فعليها أن تقبل التّعدّد لأنّه كان من أهمّ أسبابه في أفريقيا، ولازم من لوازمه، ولكنّ الواقع أنّ السّعداوي في قضيّة تعدّد الزّوجات سائرة مسار قاسم أمين الّذي تمّ بيانه سابقًا، بل أكثر تشدّدًا من قاسم أمين في الاعتراض على تعدّد الزّوجات.

فإذا كان قاسم أمين يرى فقط أنّ الأصل هو الإبقاء على زوجة واحدة وأنّ العدالة بين الزّوجات المتعدّدات غير ممكنة، فإنّ نوال السّعداوي، تقوم بخطوات عمليّة لمطالبة بحظر قانوني للتّعدّد، وتفسّر الآيات القرآنية الّتي تكلّمت عن التّعدّد بأنّها واضحة في منع التّعدّد وضوحًا لا يقبل الشّكّ، وأنّ العدالة الّتي اشترطها القرآن للتّعدّد عدالة مستحيلة ممّا يؤكّد المنع من التّعدّد، تقول في كتابها(توأم السّلطة والجنس): "عارض البعض ما كتبته عن إصدار قانون يمنع تعدّد الزّوجات، مستندين إلى أنّ القرآن الكريم فيه نصّ واضح يسمح بالتّعدّد، والحقيقة أنّ القرآن الكريم لا يسمح بالتّعدّد، بل يمنعه بوضوح لا يقبل الشّكّ، والآية القرآنيّة الّتي تقول:﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ۝٣ ﴾، تكفي لمنع التّعدّد باشتراط العدل الّذي هو مستحيل كما تؤكّده الآية القرآنيّة﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ ۝١٢٩ ﴾ النساء: ١٢٩."نوال السّعداوي، ص٩٧).

ويردّ على هذه المحاولات اليائسة للتّشويش على النّاس في قضيّة التّعدّد بما تمّ الرّدّ به على قسم أمين(ص:٨) من هذا البحث، ويضاف إلى ذلك أنّ أصحاب النّبي صلى الله عليه وسلّم، أكثرهم كانوا متعدّدين للزّوجات وكذلك التّابعين، فهل يعني ذلك أنّ كلّهم علموا بأنّ التّعدّد حرام بالنّصّ القرآني ثمّ يخالفونها، وغاب عن العلماء الكبار السّابقين هذه المسألة حتّى تأتي نوال السّعداوي ليوقظ النّاس عليها؟!

فلا شكّ أنّ مبدأ السّعداوي في قضيّة نسبة الولد لأمّه بدل أبيه غريب في حقّ إنسان يحسب على الإسلام وإن لم يكن يعتزّ به –على ما يظهر– وقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ۝٥ ﴾ الأحزاب: ٥، إذ لا يعقل أن يكون للإنسان جرأة في تخطئة القوانين الإلهيّة إلاّ من عرف بالعناد والعياذ بالله.

رابعًا/ تأليه المرأة وتعظيم شأن إنجابها لدرجة وصفها لذلك بالإلهة الأنثى أو الخالقه:

وإذا كان إنجاب المرأة حدثًا عظيمًا يرفعها لدرجة الألوهيّة كما كثر ذلك من تلميحات نوال السّعدواي في غير مرّة من كتابها، فهل المرأة تشرب الماء وتنجب ولدها أو أنّها لا بدّ لها من علاقة فطريّة مع الرّجل لتأتيها تلك النّتيجة بعد ذلك؟! فالأصل أنّ هذا الحدث أدعى لنا إلى التّفكير في عظيم خلق الله سبحانه وتعالى كما تساعدنا في ذلك كثير من آيات القرآن الكريم ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٤)، بدلا من أن يكون باعثًا لنا إلى نسبة فضله إلى خلقه وتعظيمه إلى مقام الإله الخالق، مع أنّنا موقنون بأنّ المرأة مع ما ميّزها الله به من القدرة على الحمل والإنجاب بالأسباب الجنسيّة المعروفة، لا تلد إلاّ بمشيئة الله، فلذلك قد يرزقها الله النّوع الّذي تحبّه من المواليد أو يرزقها النّوع الّذي لا تحبّه وما يكون عليها إلاّ أن تقبل ما وهبها الله فقط، وما أكثر ما نسمع عن نساء يُردن بنين لكنّهنّ يُنجبن بنات أو يُردن بنات ويُنجبن بنين.

كما أنّ المرأة مع ميزة ولادتها لا تستطيع أن تختار وقت حملها وولادتها بدقّة، بل الله الّذي يرزق الحمل والولد متى شاء وكيف شاء، كما لا تستطيع أن تحدّد عدد الأولاد الّذين ستنجبهم؛ إذ قد ترزق ولدًا واحدًا فقط ثمّ لا ترزق بعده، أو ترزق اثنان أو أكثر كما يريد الله سبحانه وتعالى.

وقد جعل الله النّساء في ولادة الأطفال وعدمها أنواعًا؛ كلّ ذلك ليؤكّد لنا أنّ كلّ شيء بإرادته هو سبحانه وتعالى وقدره، لا بإرادة البشر واختيارهم؛ فمن النّساء اللاّتي ينجبن بنات فقط، ومنهنّ من ينجبن بنين فقط، ومنهنّ من ينجبن بنين وبنات، ومنهنّ العقيم الّتي لا تنجب ولدًا، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى: ٤٩ – ٥٠). فلو كان للمرأة فضل الخلق في شأن ولادتها لما خضعت لكلّ هذه التّقسيمات الرّبّانيّة الّتي أحيانًا لا تتوافق مع اختياراتها الشّخصيّة وميولها النّفسيّة.

ثمّ إن كان سرّ عظمة المرأة وتأليهها، أنّها خُصّصت بمهمّة الولادة بدل الرّجل فإنّ الرّجل أيضًا خُصّص بمهمّة تأسيس الأسرة وحفظ النّسل وعدم ضياعه مهما كثرت زوجاته، بخلاف المرأة الّتي لو لم تتقيّد بزوج واحد لكانت سببا في ضياع الأنساب واختلاط الأسر، وهذا لا شكّ سيقود العالم إلى تخبّط كبير، ولذلك لم تتجرّأ أمّة من الأمم أن تقلب هذه القاعدة الاجتماعيّة المتوارثة، مهما كان اعتقادهم وموقعهم الجغرافي إلاّ شواذّهم –والشّاذّ لا يقاس عليه– وقد ظلّت علاقة المرأة لدى معظم الأعراف مع أكثر من رجل بدون سبب اضطراري يعتبر غريبًا وعيبًا وخروجًا عن المألوف، بينما الرّجل يفعل ذلك مع أكثر من امرأة ولا يعدّ عيبًا لأنّه لا يؤدّي إلى ضرر اجتماعيّ.

أمّا إن قال قائل إنّ هناك امرأة أنجبت بدون زوج، وهي مريم بنت عمران أمّ عيسى عليه السّلام، وعلى ذلك فقدرة المرأة على الإنجاب لا تتعلّق بمخالطتها للرّجل، ممّا يؤكّد قدسيّة المرأة بسبب ولادتها، فإنّه جهل بسنّة الله في الخلق، فقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم من غير أنثى ثمّ استخرج الأنثى من ضلع الرّجل، فإن كان الأوّل غريبا فغرابة الثّاني لا شكّ أكثر.

وفي سياق إثبات ألوهية الله سبحانه وتعالى وقدرته، فقد أبطل بعض المستحيلات عبر التّاريخ وأخرق بعض القوانين الكونيّة ليكون ذلك أقوى دليل على وحدانيته وقدرته سبحانه وتعالى، فقد عطّل فعالية النّار على إبراهيم عليه السّلام لمّا ألقي فيها فلم تمسّه، وأنطق أطفالا من المهد كما في قصّة يوسف عليه السّلام، وقصّة ماشطة ابنة فرعون، وقصّة أصحاب البروج، وقصّة الرّاعي، كما شقّ الله البحر لموسى عليه السّلام فكان كلّ فرق كالطّود العظيم....فكيف نستثني من هذه المعجزات الرّبّانيّة معجزة واحدة لنسبة فضلها وعظمتها إلى الإنسان؟

خامسًا/ تنتفض السّعداوي غضبًا في غير موضع من كتابها بسبب وصف الله بالذّكر بدل الأنثى، إذ ترى ذلك جورًا:

وهذا السّلوك منها إمّا مرض نفسي أو جهل بحقيقة الله سبحانه وتعالى، فلم يصف الله سبحانه وتعالى نفسه بذكر أو أنثى في أي موضع من القرآن الكريم، ولم يسبق أن يصفه بذلك أحد من السّلف، وإنّما اعتماد الكاتبة أوّلا وآخرا، هو على ضمير الذّكورة الّذي أشار به الله سبحانه وتعالى إلى نفسه، وهذا ليس دليلاً على أنّ الله ذكر أو أنثى بل إشارة إلى أنّ الأقرب في استخدام النّاس في الكلام والأسهل، هو ضمير الذّكر ولذلك خاطب الله به المؤمين والمؤمنات معا في أكثر من

موضع في القرآن الكريم(يا أيّها الّذين آمنوا)، أمّا الله سبحانه وتعالى فلا يوصف بالذّكورة ولا الأنوثة وإنّما يوصف بذلك مخلوقاته الّتي خلق الله لكلّ منها زوجين، إذ الله سبحانه وتعالى ليس له مثيل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"ولهذا أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الإخلاص الّتي هي نسبته وصفته، فقال:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤، فنزّهه وقدّسه عن الأصول والفروع والنّظراء والأمثال، وليس في المخلوقات شيء إلاّ ولا بدّ أن ينسب إلى بعض هذه من الأعيان والمعاني، فالحيوان من الآدميّ وغيره، لا بدّ أن يكون له إمّا والد، وإمّا مولودٌ، وإمّا نظير هو كفؤه، وكذلك الجنّ والملائكة، ولهذا قال سبحانه: ﱡ لح لخ لم له مج مح مخ ممّ الذاريات: ٤٩".(ابن تيمية، جواب الاعتراضات المصريّة على الفتيا الحمويّة، ص: ١١٥).

سادسًا/ نسبة الخطيئة الّتي أخرجت آدم وحوّاء من الجنّة إلى حوّاء ظلم....

ترى نوال السّعداويّ أنّ نسبة الخطيئة الّتي أخرجت آدم وحوّاء من الجنّة إلى حوّاء ظلم، مع أنّها تقرّ بعد ذلك أنّ حوّاء هي من دلّت آدم على الشّجرة؛ في سياق تعظيم حوّاء بأنّها بدل أن تُعظَّم على أنّها دلّت آدم على طريق المعرفة باتت تنسب لها الذّنب. (ينظر نوال السّعداوي، ص:٣١)، وفي هذا ليس لنا أدنى دليل من الكتاب والسّنّة يؤكّد نسبة الخطيئة الّتي أخرجت آدم وحوّاء من الجنّة إلى حوّاء، بل المؤكّد به في القرآن الكريم هو العكس، فلم ينسب الله سبحانه وتعالى الذّنب إلى حوّاء في القرآن في هذا السّياق وإنّما نسبه لآدم، فقال:﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ﴾ (طه: ١٢١)، وأمّا ما ذكرته السّعداوي فهذا أقرب إلى عقيدة أهل الكتاب كما وردت في كتبهم فلا ينقم على الإسلام بها. وعلى فرض أن تكون حوّاء هي من دلّت آدم على الشّجرة، فهل يبرئ ذلك آدم من الذّنب؟! أم أنّ الحقّ أنّ كليهما مشتركان فيه؟!، بالتّأكيد كلاهما مشتركان في الذّنب. وهل الذّنب يُفخر به على أنّه مبادرة لطلب العلم؟، لا أظنّ.

الخاتمة والنّتائج:

يتوصّل الباحث ممّا سبق من العرض والنّقاش لموضوعات كتاب الدّكتورة نوال السّعداوي "الوجه العاري للمرأة

العربيّة" إلى النّتائج التّالية:

١. يتبيّن ممّا سبق بأنّ كتّاب العربيّة الّذين اهتمّوا بحقوق المرأة كثيرون، لكنّ أساليبهم في تناول هذا الموضوع مختلفة وكذلك منطلقاتهم، وإن كنّا نستطيع أن نقدّر مدى الإحساس العميق من كلّ واحد منهم تجاه المرأة في المنظومة الاجتماعيّة. فمنهم من مهما تقرأ له من صرخات صادقة وبكاءات وإشفاقات في مختلف القصص والمقالات الّتي تهزّ القلوب هزًّا لإنقاذ النساء المظلومات في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة، فلا تستطيع أن ترى منه في أي نقاش من نقاشاته ولا في أي قصّة من قصصه الجرأة على اعتراض أيّ من النّصوص الدّينيّة ولا أي محاولات لاستخفاف شيء من الموروثات الإسلاميّة الصّحيحة وممكن أن نعدّ على رأس أولائك الكتّاب إمام الكتابة العربيّة في العصر الحديث مصطفى لطفي المنفلوطي.

بينما وجد منهم من له جرأة غير متناهية في الاعتراض حتّى على النّصوص القرآنيّة والسّنن الموروثة بالتّواتر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه؛ ويمكن أن نعدّ منهم: قاسم أمين ونوال السّعداوي اللّذين طفقا يفسّران آيات القرآن ويلوّيان أعناقها لخدمة ما يتبنّيانه من الأفكار في تعدّد الزّوجات.

٢. على الرّغم من رومانسية المنفلوطي وقصصه المشفقة المأساويّة الّتي تتكلّم عن المرأة وحقوقها، فإنّه لم يتغافل أيضًا أنّ هناك جزء من النّساء الفاسدات قليلات الوفاء والصّبر، فنصحهنّ وصاغ في حقّهنّ بعض القصص المؤثّرة الزّاجرة للفساد، بينما لم أقف على على شيء من هذا القبيل لدى قاسم أمين ولا نوال السّعداوي السّائرة على دربه، بل كلّ جهودهما ركّزت على المطالبة بحقوق المرأة باعتبارها مظلومة ظلمًا مطلقًا.

٣. الكاتبة نوال السّعداوي، أثارت موضوعات اجتماعيّة كثيرة في كتابها هذا، قد تحتاج بعضها بالفعل حتّى الآن إلى دراسات وضبط اجتماعي أكثر، وقد تناولها قبلها الكتّاب الكبار قبلها بأساليب مختلفة ومن زوايا مختلفة، ومن أهمّ الموضوعات الّتي تناولتها الكاتبة في كتابها: قضيّة الختان، وتقييد البنت بأخلاقيات لا يقيَّد بها الولد الذّكر، وقضيّة نسبة الولد إلى أبيها بدل أمّه، وتأليه المرأة وتقديسها ووصفها بالخالقة بسبب ولادتها، ووصف الله بالذّكر بدل الأنثى، ونسبة الخطيئة لحوّاء بدل آدم عليهما السّلام.

٤. كثير من طروحات الكاتبة لا يدعمها علم ولا منطق سليم، وتثير جدليّات ليس لها وجود أصلا في الواقع غير أنّها تتّخذها أوتارا للتّهييج وإثارة الشّكوك في الدّين، كتذكير الله بدل تأنيثه، ونسبة الخطيئة لحوّاء بدل آدم....

٥. يظهر من إثارات الكاتبة أنّها وإن كانت طبيبة يفترض أن تكون ملتزمة بالمنهج العلمي في نقاشاتها، وقعت ضعيفة أمام عاطفتها وتأثّرها للثّقافات الأجنبيّة فلم يدعها هذان العنصران تنظر إلى القضايا بهدوء وإنصاف.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السّجستاني (٢٠٠٩) *سنن أبي داود*. ط١. مصر: دار الرّسالة العالميّة.

٣. البخاري، محمّد بن إسماعيل. (١٩٨٧). *صحيح البخاري*. ط٣. بيروت: دار ابن كثير.

٤. التّرمذي، محمّد بن عيسى. (١٩٩٦). *الجامع الكبير*. ط١. تونس: دار الغرب الإسلامي.

٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلاّم الحرّاني (٢٠١٩). *جواب الاعتراضات المصريّة على الفتيا الحمويّة*. ط٣. بيروت. دار ابن حزم.

٦. سلامة موسى. (٢٠١٢). *الأدب للشّعب*. د.ط. القاهرة: مؤسّسة الهنداوي.

٧. سيميرة عدلي محمّد رزق. *الاتّجاه الإنساني في أدب المنفلوطي*. بحث ماجيستير، جامعة أمّ القرى عام ١٩٨٣.

٨. قاسم أمين. (٢٠١٢). *تحرير المرأ*. د.ط. القاهرة: مؤسّسة الهنداوي.

٩. مسلم بن حجّاج. (د. ت) *صحيح مسلم*، د.ط. بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة.

١٠. محمّد دوكوري. (٢٠٢١). *منسا موسى السّلطان الحاجّ*. ط٢. مكتبة أيوما. نيجيريا.

١١. المنفلوطي، مصطفى لطفي. (دت). *العبرات*. د.ط. بيروت: دار الهدى الوطنيّة.

١٢. المنفلوطي، مصطفى لطفي. (١٩٢٥). *النّظرات*. د.ط. جمهوريّة مصر العربيّة: دار مصر.

١٣. نوال السّعداوي. (٢٠١٧). *الوجه العاري للمرأة العربيّة*.د.ط. مصر. مؤسّسة الهنداوي.

١٤. نوال السّعداوي. (٢٠١٧). *توأم السّلطة والجنس*.د.ط. مصر. مؤسّسة الهنداوي.